مطالعة موجزة في فكر العلامة الطباطبائي

الشيخ حسين السعلوك

شهد العالم الإسلامي في القرن العشرين حراكًا فكريًا فريدًا تمثّل بانفتاح المؤسسات الحوزوية على أنظومات الفكر المناوئ - الغربي منه أو العربي - وقد كان هذا الانفتاح أثرًا طبيعيًا لاجتياح بعض المدارس المادية واللادينية للساحة الفكرية في بلاد المسلمين، نتيجة إرهاصات سياسية تاريخية لا مجال لبسطها، حيث كان لهذا التحول آثاره الهادمة لبنية المجتمع الإسلامي، فتنطّح إذ ذاك بعض أساتذة الحوزات العلمية للدفاع عن تعاليم الدين ومواجهة الطروحات النظرية لتلك المدارس. وقد لزم في هذا المسعى أن يتمسك روّاد هذا الحراك بخلفيات التأصيل الفكري التي توفرها الحوزة من جهة، وبميسم الاجتهاد الفكري الذي يتخطى السائد من المعالجة ويفتح للعاقلة آفاقًا علميةً جديدة من جهة أخرى، بحيث يضحي المفكر متوفّرًا على دافع الخوض في حقول وميادين جديدة ولكن برؤية ونفس أصيل ورؤيوي.

ولكن مساعي هذه الزمرة لم تنجُ من نقودات علماء الداخل، وبالداخل أعني المنظومة الإسلامية، لأنه إن كان من خطير الادّعاء القول إن ارتكان الفلسفة إلى مقولات الدين - أي دين كان - هو عامل إقصاء لحيوية تلك الفلسفة وتحديدٍ لمدياتها الغائية في استقراء الوجود، فإن الأخطر منه ادّعاء أن الفلسفة ومطالبها علوم غريبة عن الدين، مشوهة لصورته وحقيقته، نازعة سمة القداسة والإلهية عنه. وهذان تياران كان على أصحاب التوجه المذكور التصدي لهما.

ولإن كنا سنخوض في مسعًى استشرافي لأهم أعلام هذا الحراك، فإننا سنجد العلامة الطباطبائي على رأس قائمة أولئك العلماء، لما اضطلع به من دور مركزي في ذاك السياق. فقد خرج الرجل في عصر كانت الفلسفة تنحو فيه نحو عملية بتر لكل ما هو ديني فيها، لا سيما في العالم الإسلامي، والحوزات تنحو نحو إقصاء لكل مشتغل أو مهتم بالفلسفة، فخرج إذ ذاك ليعيد نسج خارطة العقل الإسلامي والفلسفي على حد سواء، مثبتًا - أو ساعيًا إليه بالحد الأدنى - أن الفلسفة لا يمكن أن تحاكي واقعًا تُغيّبُ منه عالم ما وراء الطبيعة، وما يتعلّق به من مقولات الغيب والإلهام والشهود وغيرها، ومثبتًا من جهة أخرى أن الفهم الديني الحقيقي لا يمكن أن يصبح منتجًا حقيقةً ومعايشًا لهواجس العاقلة الإنسانية المتأخرة ما لم يكن على اضطلاع بمقولات الفلسفة، باسطًا لوجهته فيها، ليعيد بذلك إرساء لُحمة بين هذين الحقلَين.

إلا أن حصر الجهد المعرفي للعلّامة بهذا الحقل قد يكون من الإجحاف بمكان، حيث إن مساحة عمل الرجل تتخطى مجرد دور المدافع في إزاء الطروحات الهجينة، فقد كان له دور ريادي في التأسيس لإعادة تشكيل الرؤية الإسلامية حول الله والإنسان والعالم، وذلك عبر إسهاماته التي قدّمها في سائر مجالات العلوم الدينية والعقلية، وإنجازاته التي يشهد له بها كل مطّلع؛ فقد أرسى - رحمةالله- منهجًا مستحدثًا في تفسير القرآن، يعتمد آيات القرآن نفسها منطلقًا لتفسير سائر النص القرآني؛ كما وسعى إلى إعادة تقديم النظام الفلسفي لملا صدرا بمرتكزات جديدة، مضيفًا إليه بعض الإبداعات الجديدة كبحثه حول الإدراكات الاعتبارية، وطروحاته في نظرية المعرفة، وغيرها؛ كما وعمل على صياغة نسق عقائدي مواده اليقينيات من القضايا وعناصر هيئته الاستدلال بالتلازم؛ كما وقدم بحوثًا في العرفان والولاية يقع الإنسان فيها أصلًا موضوعيًا يُلحظ في سياق علاقته بالمطلق؛ ذاك كله مضافًا إلى مباحثه في التاريخ والسيرة.

وبذلك، فقد كان لهذا العالم قدم السبق على سائر علماء عصره، وهذا مردّه إلى ما توفرت عليه منظومته الفكرية من مميزات فريدة. فمن سمات تلك الشخصية:

- أولًا بالموسوعية والشمولية: حيث كان ضليعًا في الفلسفة والعقائد طويل باع في الفقه والأصول والحديث متمرّسًا في علوم القرآن والتفسير محيطًا بحقول السيرة والتأريخ، إلى غير ذلك من المجالات.
- ثانيًا اتّمست شخصيته بالعمق والغزارة: حيث كان في كل واحد من تلك المجالات عميق التناول غزير الطرح، يقف على دقائق القضايا ويسائل المركوز فيها فلا يتلهى بالسطحي منها مغمضًا عينه عن لبها وأسّها.
- ثالثًا اتّسمت شخصيته بالجدة والريادة: حيث كان في كل القضايا العلمية رائدًا في طرح الجديد الذي يفتح آفاق الفكر على موضوعات مفصلية لم يكن قد سبق الخوض في طرحها.
- رابعًا واتّسمت بمسيم الإحيائية لمفهوم الأصالة الإنسانية: حيث جُعل الإنسان في فلسفة الطباطبائي وفكره أصلًا ترتكز عليه فروع المطالب وبلحاظه ترتسم الأفكار وتخاض النقاشات.
- خامسًا واتّسمت بالواقعية الموضوعية: حيث استندت معظم استدلالاته الفلسفية أو العقائدية أو غيرها على أصول موضوعية هي القضايا اليقينية،

وبهذا فإن طروحات الطباطبائي موافقة لما بإزائها في الخارج، أي مطابقة للواقع ونفس الأمر، سواء كان الواقع خارجًا أو ذهنًا أو شيئًا غيرهما.

المصدر: الموقع الالكتروني لمعهد المعارف الحكمية

الشهيد سليماني؛ اللواء الذي طوى الحدود الأخلاقية والعسكرية

ترقّى كثيرون من الأشخاص الذين نشؤوا في المؤسسات العسكرية إلى المراتب العليا، وأيّ مسلك ومنهج يكونون عليهما قبل دخول هذه البيئة، لا خيار أمامهم سوى تغييرهما من أجل التكيّف مع الهيكلية والبيئة العسكرية. هذه البيئة تقتضي الامتثال لأمر واحد حتى لو كان مخالفاً للآراء الشخصية. من الطبيعي أن يكون التحمّل لمثل هذه البيئة والتكيف معها أمراً صعباً ومرهقاً، لكن أهم مخرجاتها توحيد الأفراد في الفكر والرؤية الكونية والسلوك. الشهيد قاسم سليماني جرّب بصفته قائداً عسكرياً مخضرماً أنواعاً مختلفة من العمليات وساحات القتال، ونجح بصورة عجيبة في نسج علاقة جميلة وفنية بين الواجبات الجافة نوعاً ما والمنظمة، بصرامة القائد العسكري ذي الرتبة العالية، وبين حياة إنسان خلوق وأب حنون وصديق عطوف.

سنتناول في ما يلي بعض السمات البارزة للشهيد سليماني.

البساطة والتواضع

كان الشهيد سليماني متواضعاً دوماً في المظهر والملبس، وكذلك في التصرف والسلوك، سواء في حياته الشخصية أو في ميدان المعركة. بخلاف منصبه، كانت إمكانات حياته مثل تلك التي يتمتع بها الشخص العادي. كان يشارك في كثير من المراسم، مثل تشييع الشهداء ورفاقه، واللقاءات مع عائلات الشهداء وأبنائهم. أثناء خطاباته أو لقاءاته مع الناس،. كان يحضر دون أي تشريفات، ويتجنب أن يكون محط أنظار المراسم أو الحفل. في مرة أيضاً، وضمن برنامج معين، جرى ترتيب الأمر لتكريم «قوة القدس» في جمهورية إيران الإسلامية على نجاحها في هزيمة «داعش». أدرك اللواء سليماني أن موضوع المراسم تكريم لشخصه، فلم يشارك في المراسم وأرسل مندوباً من طرفه. أيضاً يمكن فهم بساطة اللواء سليماني وتواضعه في ساحة المعركة وبين رفاق دربه. كانت علاقته بالجنود أشبه أكثر بالعلاقة بين الأب والابن أو الأخوين من العلاقة بين القائد الآمر والجندي المنفذ. كان الجنود ينفّذون أوامره بدافع المحبة وبرغبتهم الداخلية أكثر من الإجبار العسكري. من أهم المصاديق على السلوك البسيط والمتواضع للواء هو أنّ الجميع يعرفونه باسمه الأول وينادونه: حاج قاسم!

المحبة والاهتمام بالناس

الجلوس واللقاء مع الناس هما المكان الذي يمكن أن نجد فيهما وجه اللواء مبتسماً وسعيداً دائماً. لهذا، كان يتحدث معهم مباشرة ووجهاً لوجه في أيّ فرصة. مع أن اللواء سليماني كان مديراً وقائداً عسكرياً كبيراً في البلاد ولديه بطبيعة الحال انشغالات عملية وذهنية كثيرة، لكنه كان يخصص وقتاً طويلاً للاستماع لكلام الناس فيستمع لهمومهم وشكاواهم. كان الشباب واليافعون الذين يتوقون لمقابلته، يستطيعون أن يأتوا إلى جانبه بسهولة ويلتقطوا معه صورة سيلفي. كان إذا رأى الأطفال والصغار في مكان ما، يلاطفهم ويلعب معهم، كما يحضر بنفسه مراسم تشييع رفاقه ودفنهم، ويزور عائلاتهم ليواسيهم.

الأخلاق حتى في الحرب

ساحة المعركة الصعبة هي ميدان لا تؤخذ فيه النقاط الأخلاقية الدقيقة واللطيفة على محمل الجد كثيراً. في العرف الرائج، ثمة أمور تُعد مخالفتها مدانة في الظروف العادية ولا تُذكر على أنها انتهاكات للحقوق في ظروف الحرب. في هذا السياق، تُعدّ سمة «التنبّه إلى الأخلاق» وسط الرصاص وشظايا القذائف لدى اللواء سليماني ظاهرة جذابة وباعثة على التأمل. في منطقة الحرب، ووسط دويّ نيران الأسلحة التي كانت تسمع من هنا وهناك، كان اللواء يلقي خطابات قصيرة في فرص مختلفة أمام مجموعات مجاهدي المقاومة الذين يستعدون لتنفيذ عمليات صعبة ضد «داعش». ربما لمن هم على دراية بآداب الحرب، إن الفكرة الأولى، التي تتبادر إلى أذهانهم من الكلمات الأخلاقية للواء سليماني، هي أن اللواء كان يوصي المجاهدين وقواته بتجنب التعرض للأسرى أو معاملة النساء والأطفال معاملة وحشية، لكن هذا الافتراض وحده بعيد كل البعد عن مستوى الهاجس الأخلاقي للشهيد سليماني بصفته إنساناً مسلماً. ربما يمكن الوصول إلى جانب من مستوى الهاجس الأخلاقي للشهيد سليماني من كلامه: «نحن الموجودين هنا يجب أن نحرص بشأن الحلال والحرام... لا يمكننا التصرف ببيوت الناس كيفما شئنا». ان لا تتضرر أجساد المدنيين في منطقة الحرب وأرواحهم، هو مبدأ بديهي في منظومة الأخلاق القتالية للشهيد سليماني، الأخلاق القتالية المبنية على المبادئ والفكر الإسلامي. لكن توصيات اللواء تشير إلى الممتلكات والبيوت الواقعة في مناطق الحرب التي لا ينبغي التصرف بها والتعرض لها، ناهيكم بأجساد الناس وحياتهم وأرواحهم.

لم يكتفِ الشهيد سليماني بتذكير الآخرين بمراعاة النقاط الأخلاقية، بل كان نموذجاً عملياً شاملاً لمعتقداته ومارسها مراراً وتكراراً في ميدان العمل. في إحدى المرات وخلال وجوده في مناطق الحرب مع «داعش» في سوريا، صلى اللواء سليماني في منزل مهجور، وبعد الانتهاء كتب رسالة يطلب فيها الإذن وبراءة الذمة من صاحب البيت. حتى إنه أيضاً ترك في البيت عنواناً ورقماً للاتصال، فإذا كان لدى صاحب البيت أي اعتراض أو طلب بخصوص استخدامه بيته، فسيجد الإمكانية لطرح ذلك.

لم تتوقف أخلاقه في ساحة المعركة على شمولية البشر فقط، بل شملت أيضاً حقوق الحيوانات والبيئة. هناك شريط فيلم عن اللواء في خضم الحرب وأثناء تفقّداته المناطق الحربية وفجأة يلاحظ بقرة تائهة، فيطلب من السائق أن يوقف السيارة ويقترب منها ويعطيها من خبزه ومؤنته الخاصة. كان مجال الهاجس الأخلاقي للشهيد سليماني واسعاً، ليشمل في بعض الأحيان المناطق الجبلية في إيران أيضاً. خلال المعركة مع «داعش» في العراق، وفي الشتاء، اتصل بمقر قيادة «حرس الثورة» وطلب من زملائه إعداد العلف للغزلان التي تعيش على الجبل المجاور للثكنة لأن من الصعب عليها العثور على طعام في الشتاء والبرد.

سر شخصية اللواء سليماني

ما يلفت الانتباه في شخصية اللواء سليماني هو اتساع كيان هذا الإنسان وعظمته. كيان وشخصية متعددة الأبعاد جداً. من ناحية، لديه مهارة كبيرة في فهم الشؤون العسكرية وإستراتيجياتها، لدرجة أن أعداءه في جبهة الاستعمار والاستكبار، يعترفون بقدرته وقوته العسكرية. من ناحية أخرى، إن التفاصيل الأخلاقية الظريفة والدقيقة مهمة جداً له، لدرجة أن في ذهنه المليء بالانشغالات، مكان للتفكير واتخاذ الإجراءات المناسبة. ربما يمكن العثور على السبب والجواب، عن هذا الوجود الراقي والمتمحور والواسع، في الوقت عينه، لشخصية اللواء سليماني، من فكره ورؤيته الكونية.

اللواء سليماني، توصّل، بصفته مسلماً، نشأ في مدرسة الإسلام المحمدي الأصيل، إلى هذا الاعتقاد: إن نطاق حياة الإنسان وحضوره نطاق شاسع للغاية، من العبادة والصلاة والخلوة مع الله، إلى الاهتمام والاستماع بصبر والإجابة بمحبة على إنسان عادي يعبّر عن احتياجاته، إلى لحظة مواصلة الدفاع بلا تعب وبشجاعة عن المظلومين الأبرياء العزّل أمام «داعش» الظالم، أو الكيان الصهيوني الغاصب. كان الإسلام المحمدي الأصيل، قد ناغم القوى الجسدية والعقلية والروحية كلها للحاج قاسم سليماني، حول محور التوحيد ومرضاة الله، إلى حدّ أن كل ما يمكن تعريفه أنه واجب إلهي كان يجذب انتباه اللواء سليماني.

يقول قائد الثورة الإسلامية، الإمام الخامنئي (حفظه الله)، في وصف شخصية اللواء سليماني: «كان إنسانياً ويضحّي بنفسه حقاً من أجل الجميع. كذلك كان من أهل المعنويّة والإخلاص والسعي وراء الآخرة. كان معنوياً حقاً، ومن أهل المعنويّة حقاً، ولم يكن من المتظاهرين بذلك... ذهب إلى صحاري البلد الفلاني والبلد الفلاني... وعلى الجبال ومقابل الأعداء شتّى... لقد كان نموذجاً بارزاً للناهلين من فيض الإسلام ومدرسة الإمام الخميني، فقد أمضى جُلّ عمره بالجهاد في سبيل الله.»

المصدر: KHAMENEI.IR

علـمـاء وأعـلام

الشيخ حر العاملي

الولادة

محمد بن حسن بن علي بن محمد بن حسين المعروف بالشيخ الحر العاملي، محدث جليل وفقيه ثقة كبير، له مؤلفات قيمه واسفار جليلة، شيخ الاسلام وزعيم الطائفة الشيعية.

ولد الشيخ حر في ليلة الجمعة ٨ من رجب لعام ١٠٣٣ هـ، في قرية مشغرة بمنطقة جبل عامل فى لبنان.

لقد اعتنق الناس في منطقة جبل عامل المذهب الشيعي على يد الصحابي الجليل ابي ذرالغفاري ثم نهلوا من منهل الاسلام واهل بيت الرسول الاعظمﷺ، فغمرت قلوبهم حب اهل بيت الرسول واصبحوا من محبيهم وشيعتهم، ونشأ الشيخ الحر في اسرة علم وامجاد ودأبواعلى حب اهل البيت عليهم السلام.

النسب

ينتسب الشيخ الحر العاملي الى حر بن يزيد الرياحي الذي كان يقود فوجا" من جند يزيد، وقد التحق حر بن يزيد الى عسكر الأمام الحسين واستشهد فى ركابه عليه السلام.

الاسرة

لقد نشأ الشيخ الحر العاملي فى أسرة ذي ثقافة وعلم وادب، وكانت اصيلة وعريقة حيث انجبت فحول العلماء وفطاحل الفقهاء وكبار المحققين. كان والده عالم فاضل صالح واديب فقيه وثقة وحافظ القرآن وملم بالآداب والعلوم العربية وكان مرجع الناس وملاذهم. ولعمه الشيخ محمد بن علي بن محمد الحر العاملي كتاب الرحلة والحواشي والتعليقات و ديوان شعري كبير. و كان ابن عمه حسن بن محمد بن علي، عالم فاضل واديب . اما جده، الشيخ علي بن محمد الحر العاملي، كان عالما عظيم القدرو عابدا" دمث الأخلاق ومن افاضل زمانه.

المنزلة العلمية

كان الشيخ الحر العاملي من ابرز وافضل علماء الشيعة في القرن الحادي عشر الهجري وله مؤلفات ثمينة قيمة. كما كان موضع احترام وتبجيل لدى علماء الشيعة وهو من الوجوه المشرقة اللامعة الذي اثرى المخزون الفقهي والعلمي للشيعة بروايات اهل البيت عليهم السلام.

الاسفار

لقد اقام الشيخ الحر العاملي حتى الاربعين من عمره في جبل عامل وقد تشرف مرتان للحج. كما سافر عام ١٠٧٣ الى العراق لزيارة العتبات المقدسة للائمة المعصومين عليهم السلام ومن هناك توجه الى مدينة مشهد المقدسة وسكن هناك.

ثم توجه الى اصفهان وقابل كبار العلماء هناك كالعلامة المجلسي. كما اجاز الشيخ الحر العلامة المجلسي الروايه والعلامة اجازه ايضا" وبعد ذلك عاد الشيخ الحر العاملي الى مدينة مشهد المقدسة واقام فيها حتى آخر ايام حياته.

الأساتذة

ان الشيخ الحر العاملي تلمذ على اساتذة افذاذ كبار فى موطنه جبل عامل فى قرية مشغرة. حيث تلقى علوم آل محمدﷺ وقد انتفع منهم كثيرا". من ضمن اساتذته فى بلدة مشغرة:

١. والده الأمجد حسن بن علي (المتوفى ١٠٦٢ هـ)
٢. عمه الشيخ محمد بن على الحر العاملي (المتوفى ١٠٨١ هـ)
٣. جده لأمه الشيخ عبدالسلام بن محمد الحر العاملي
٤. خال والده الشيخ علي بن محمود العاملي
٥. الشيخ زين الدين صاحب العالم وابن الشهيد الثاني
٦. الشيخ حسين الظهيري وقد افاد من علماء آخرين ايضاً.

التلامذة

لقد انتفع من الشيخ الحر العاملي جمع كثير من العلماء منهم:

١. الشيخ مصطفى بن عبدالواحد بن سيار الحويزي
٢. الشيخ محمدرضا ابن الشيخ مصطفى
٣. الشيخ حسن الابن الآخر للشيخ مصطفى
٤. السيد محمد بن محمد بديع الرضوي المشهدي
٥. السيد محمد بن محمد باقر الحسيني الاعرجي المختاري النائيني

المؤلفات

للشيخ الحر العاملي مؤلفات عظيمة قيمة وقد خصص حياته الشريفة لخدمه الشريعة الاسلامية ومذهب اهل البيت المعصومين المطهرين ومن اهمها "وسائل الشيعة" التى يتداولها العلماء كمصدر فقهي رئيسي ومرجع هام لعلماء الشيعة الى يومنا هذا، ومن بين مولفاته:

١- "-الجواهر السنية فى الأحاديث القدسية" وهو اول كتاب دون فى هذا المجال ولم يؤلف احد قبله مولف كهذا.
٢- -"الصحيفة الثانية " من ادعية علي بن الحسين (عليه السلام) والتي تشمل مجموعة من الادعية التى لم تذكر في الصحيفة السجادية المشهورة.
٣- -"تفصيل وسائل الشيعة" الى تحصيل مسائل الشريعة، والذي يحتوى على جميع الاحاديث للأحكام الشرعية المتواجدة في الكتب الاربعة المعتبرة.
٤- -"هداية الأمة الى احكام الائمة عليهم السلام ".
٥- من لايحضره الأمام، وهو فهرست لوسائل الشيعه وعناوين ابوابها وعدد الاحاديث ومضامينها فى مجلد واحد.
-٦- "الفوائد الطوسية"، في مجلد واحد ويشمل على مائة فائدة فى مباحث مختلفة.

وغيرها الكثير من المؤلفات....

الوفاة

في غروب اليوم الحادي والعشرين من رمضان المبارك، فاضت روحه الشريفة وانتقل الى جواربه الكريم ورفرف نحو جناته الواسعة وفردوسه الفسيح رضوان الله تعالى عليه ودفن فى جوار مرقد الامام الثامن للشيعة علي بن موسى الرضا (عليه آلاف التحية والثناء).

المصدر: www.almaaref.org.lb